الخلفية التاريخية لثورة ٢٦ سبتمبر

لم تكن ثورة ٢٦ سبتمبر مقطوعة الجذور عما سبقها من نضالات وطنية لجماهير شعبنا، بل هي امتداد طبيعي لحركة وطنية شاملة بدأت بمقاومة الغزو التركي والاحتلال البريطاني، وإذا كانت بدايتها قد اتسمت بالعنف المسلح وامتداد ساحتها لتشمل أجزاء شاسعة من الوطن ولتلف جماهير واسعة من حولها فإن ذلك يعود إلى السمة الوطنية الخالصة لتلك المعركة.. وإذا كان نضال شعبنا من أجل الاستقلال قد بدأ في وقت مبكر جداً وركبت موجته قيادة متخلفة، فقد اصبح مضمون هذا النضال لا يتعدى الاستقلال وطرد المحتلين المدنسين لتراب الوطن.

سيف أحمد حيدر

وكان من النتائج الطبيعية أن الحصول على بعض المكاسب الوطنية في ظل قيادة متراخية خانعة لابد وأن يؤدي إلى وقف المد الوطني وبلبلة وحدة المقاتلين وارادتهم، غير أن التنازلات الوطنية من قبل أي حاكم حتى ولو كان بمثابة الأسطورة كالإمام يحيى لابد وأن تضعه موضع التساؤل في قليل أو كثير وقد بدأ مثل هذا التساؤل عقب صلح دعان وانتهى بمصرع الإمام المؤله في حركة ١٩٤٨م.

وإذا كنا نسلط الأضواء على هذا الحدث فلأنه يمثل خلاصة التحولات المهمة في اتجاه الحركة الوطنية ورايتها المشرعة ضد الغزاة ومن أجل تحرير الأرض ووحدتها.

فلقد كان هدف الحركة الوطنية يستوجب القضاء التام على الاحتلال الأجنبي الا أن المقاتلين ضد الأتراك قد اصيبوا بخيبة أمل عندما وقع «يحيى» صلح دعان سنة ١٩١١م الذي اكتفى منه الإمام- القائد المنتصر- بما يشبه الحكم الذاتي وترك للاتراك السلطة المباشرة الإدارية والشرعية على أجزاء شاسعة من البلاد والسلطة السياسية على عموم الوطن واكتفى لنفسه برضى تام بمعاش شهري وبعض السلطات الدينية على جزء آخر وكان من الطبيعي أن يبدأ التململ والتساؤل والشك بنوايا الإمام.

غير أنه عن طريق ترديد نفس الشعار الذي كان يجد عشرات المبررات لرفضه بالأمس، ألا وهو حقن دماء المسلمين ووحدتهم، استطاع عن طريق ذلك تجميد الموقف والتغلب على بوادر الرفض، ومن زاوية أخرى فقد كان بالإمكان أن يكون صلح دعان خطوة على طريق «خذ وطالب» لو أن الإمام استمر في مجابهته للأتراك وفي أسوأ الظروف يصل المناطق التي يمارس عليها نفوذه الديني وبالذات القضاء وجباية الزكاة لتنعم بالعدل وتحظى ببعض الخدمات حتى تكون مصدر إلهام لبقية المناطق المحتلة.. لقد اغمض عينيه عن كل شيء إلاّ مركزه ومزاياه الشخصية في مواجهة الاتراك..وقد ساعدته الظروف بانفجار الحرب العالمية الأولى التي غدت تركيا طرفاً رئيسياً فيها في تجميد المشاعر والأوضاع حيث ساعدت يحيى إلى حد كبير في التغلب على ردة الفعل وتجميد المطالب الوطنية من جهة والتغلب على خصومه وأية مقاومة من جهة أخرى وذلك لسببين:

الأول: يتمثل في ذلك التعاطف العام مع الأتراك بصفتهم مسلمين في مواجهة الانجليز الكفار أعداء الله.. وانشغال الرأي العام بتطورات الحرب ومعاركها.

الإمام يحيى تجاهل طلب الاتراك باستلام المناطق الجنوبية المحررة من الاستعمار البريطاني

الثاني: تدفق الذخائر والمعدات العسكرية التركية إلى اليمن قبل دخول تركيا الحرب مباشرة «تحسباً للحصار البحري البريطاني المسيطر على البحر الأحمر ولكي تتمكن القوات التركية من الزحف على عدن والسيطرة على باب المندب وقطع المواصلات بين الانجليز ولؤلؤتهم الهند عوضاً عن السويس»..

«ولما كانت العلاقة وطيدة وحسنة بين الوالي التركي والإمام الذي اصبح ملكاً فعلياً أثناء الحرب، ونظراً لفشل الاتراك في أداء مهمتهم ووقوفهم خارج أسوار عدن بلا جدوى فقد كان ذلك يعني أنه قد اصبح لدى الإمام كمية هائلة من العتاد والذخائر لمواجهة أي رد فعل معاد له».

وبالفعل فقد سلمت القوات التركية كل عتادها للإمام وطلب القائد التركي منه ارسال قواته لاستلام المناطق الجنوبية التي حررها من الانجليز عقب هزيمة ألمانيا وتركيا إلاّ أن الإمام تجاهل ذلك مما ولد خيبة أمل أخرى، وبالرغم من أنه كان قد استحوذ على المزيد من الأراضي إلاّ أنه قد أبقى على عاملين مهمين يستحوذان على اهتمام كل اليمنيين، هما وجود الانجليز في عدن والمناطق الشرقية والغربية من جنوب الوطن ووجود الادارسة عملاء الايطاليين أولاً والانجليز فيما بعد الايطاليين في عسير وتهامة.

وهكذا انتزع الاستقلال والانجليز في جنوب الوطن وإمارة عميلة لهم في عسير وتهامة، وزاد الطين بلة استيلاء الانجليز على ميناء الحديدة وتسليمه للإدريسي

وكان ذلك يكفي لجعل الجيش الوطني يواصل مشواره في اتجاه تحرير التراب اليمني وتوحيده وغض النظر عن مساوئ الأوضاع الداخلية، ولم يكن بوسع الإمام إلاّ أن يرفض رفضاً حازماً سياسة الأمر الواقع في مواجهة الانجليز والادارسة وتمكن من الانقضاض على الادارسة وتحرير ثغر ومعظم تهامة حتى وصل إلى «ميدي» في حين لجأ الادريسي إلى الملك عبدالعزيز ووضع ما تبقى من امارته تحت حمايته بموجب اتفاقية الطائف سنة ١٩٢٦م، هذه الاتفاقية التي كانت سبب الحرب بين البلدين وانتهت باتفاقية الطائف سنة ١٩٣٤م.

وربما كانت الحروب الوطنية من أقوى الأسباب والعوامل التي تدفع الشعوب إلى معرفة نواقصها وحاجاتها وتفضح حكامها، فضرب الطائرات البريطانية لعدة مدن وقرى يمنية، واجبار الإمام على الانسحاب من مناطق متعددة في جنوب الوطن، ووقوف الحاكم والشعب مشلولي الحركة لا حول لهما ولا قوة لمواجهة الطائرات، ونشوب الحرب السعودية اليمنية قد كشفت مساوئ وحكم ومغزى الاستقلال الذي حصلنا عليه، ولذلك فليس من الغريب أن نرى عبدالله الوزير بطل النصر في الحديدة وبطل اتفاقية الطائف هو بطل حركة ١٩٤٨م ضد الإمام يحيى، إن عدة عوامل في الثلاثينيات قد ساهمت في سوق المناضلين الوطنيين إلى منحى آخر وطريق جديدة، فجبروت الاستعمار البريطاني واستخدام الطائرات لضرب المدن والقرى وعجز الحكومة المستقلة منذ عشر سنوات عن أي دفاع ناهيك عن الرد والردع واستسلام الإمام وانسحابه من كافة المناطق التي طالبه الانجليز بالانسحاب منها والحرب السعودية اليمنية ونتائجها كل ذلك قد عرى البطل الأسطوري وسلط الضوء على سلبياته.

وهنا يمكن القول إن حركة المعارضة أخذت تحدد معالمها وهويتها في ظل ظروف غاية في التخلف الاجتماعي والسياسي والاقتصادي معتمدة على قوى اجتماعية لا تشكل أي جديد لا لأنها لم ترغب في ذلك بل لأن هذا الجديد لم يوجد بعد، فالفئات البرجوازية التي أخذت تتصدر النضال الوطني والاجتماعي في بقية أقطار العالم العربي لم تكن قد ولدت بعد في اليمن، ولأن حركة التاريخ لا يمكن أن تتجمد فقد ظهرت المعارضة وولدت من قلب الطبقة السائدة وكان من الطبيعي أن تلجأ إلى نفس السلاح الأيديولوجي وتعطيه مضامين تقدمية ومتطورة وتلجأ إلى أساليب المناورة المختلفة واستقطاب العناصر الغاضبة واستغلال مختلف التناقضات في نفس الطبقة.

وهكذا قامت حركة ٤٨ كنتيجة طبيعية لهذا الوضع الذي حدد مستوى التطور إلاّ أن الحركة قد كانت ارهاصاً لتحولات جديدة وضرب النفير لكي تتصدر النضال قوى أكثر جذرية من حيث الانتماء الاجتماعي والتفكير السياسي الأمر الذي أتى في النهاية بثورة ٢٦ سبتمبر.

عن كتاب «ثورة ٢٦ سبتمبر ودراسات وشهادات للتاريخ»

يا سبتمبر التحرير يا فجر النضال

احمد مهدي سالم

تسع وأربعون شمعة نطفئ وهَجَها فرحاً بقدومك، وابتهاجاً باطلالتك البهية، يا سبتمبر التاريخ وفجر الثورة الأغر، الثورة الأم.. الثورة الحقيقية التي دكتْ معاقل الظلم والطغيان وأخرجت اليمن من توابيت العصور الوسطى، والتي هيأت الظروف لانطلاقة قوية، بعد عام.. من قمم جبال ردفان للثورة الوليدة ١٤ اكتوبر ١٩٦٣ لتتفجر حمماً بركانية على حكم أقوى وأعتى وأكبر امبراطورية في العالم لم تكن الشمس تغيب عن مستعمراتها.

وتواصل الكفاح السبتمبري الخالد ليقتلع جذور الإمامة، ويحرر العقول من متاهة الجهالة وينحت كوى (فتحات) في أصلب صخور الجبال لتدخل منها أشعة الحضارة وأنوار المدنية على بشاعة الموروث الاجتماعي الامامي المتخلف القابع في الوجدان.

كان العالمِ يرمق بإعجاب لتوثب عطاءات الشباب في مطلع الستينات وهم يحققون حلماً أخضر اللون.. باهي المحيا..بحجم واتساع مساحة الوطن وأفقه البعيد الممتد الى ما لا نهاية، وذلك بعد أن ترسخ في النفوس لأمد طويل، أن الامام ظل الله على الارض، لا يقهر ولا يستطيع أحد أن يثور عليه الا وكان مصيره ساحة الاعدام.. التي شهدت جز رؤوس أشرس وأنبل وأشجع الأبطال الذين عبّدوا الطريق بدمائهم الطاهرة بدءاً بالاربعينات وحتى مطلع فجر سبتمبر الصبي الجميل الذي قال عنه الرّائي البردوني:

أفقْنَا على فجر يوم صبي
فيا ضحوات المنى أطربي
أتدرين يا شمسُ ماذا جرى
سلبنا الدُّجى فجرنا المختبي
وكان النعاس على مقلتيك
يوشوش كالطائر الأزغب

شيدت المدارس وشقت الطرقات وفتحت المستشفيات والمراكز الصحية والمرافق الخدمية، ودارت عجلة الاقتصاد والتنمية ووصل خير الثورة الى القرى والبوادي، وعلى جسامة التضحيات، ووعورة المسالك وقُبح الصعاب والمؤامرات، فقد جاءت الوحدة اليمنية كحدث عربي وعالمي فريد في زمن التفتت والتمزق والتشرذم بقيادة المقدام المشير علي عبدالله صالح لتتحقق الآمال الحبيسة في الصدور، ويفرح اليمنيون في الداخل والخارج وكل محبي اليمن، حيث تهاوت الحدود المصطنعة والحواجز الوهمية وأعيد للحمة اليمنية تماسكها وقوتها، ودائماً في الاتحاد قوة وفي تراص الجهود.. انتصار على دعوات التشرذم والفرقة وانطلاق واثق الى آفاق المستقبل الجميل.

إيه يا سبتمبر الخالد والشامخ شموخ عيبان وشمسان.. كم هتف لك الشعراء وشدا بك المغنون وتفحص تاريخك الدارسون، فكنت الابتسامة الجميلة على شفاه الزمان اليماني الذي تناسل انتصارات عظيمة وأمجاداً خالدة.. آخرها سفر الوحدة الرائع.

غنى لك أيوب طارش من كلمات الفضول بأداء جميل أخّاذ:

أنت يا سبتمبر التاريخ
يا فجر النضال
ثورة تمضي بإيمان
على درب المحال
ثورة تقضي علىَ الظلم
تأتي بالمحال
سبتمبر التاريخِ ألفت القلوبا
وتوحدنا شمالاً وجنوبا

وأياً كانت التحديات، فالفرح يزغرد في القلوب وسفينة الوحدة تعودت مصارعة الامواج العاتية لتشق طريقها وتصل الى مرافئ السعادة رافعة بيارق النصر لأنها ما وجدت الا لتبقى.. ومرحى لك يا سبتمبر في ذكراك العطرة التاسعة والأربعين.

آخر الكلام:

لو أذّي حَلّتْ ربوع نجمٍ همْت به الى اليمنِ الوثوبا

محمد محمود الزبيري

الشباب: سيظل سلوكنا منتصراً لأهداف ثورة سبتمبر

يرى العديد من الشباب- الذين التقتهم «الميثاق» وشاركتهم أفراحهم بأعياد الثورة اليمنية- أن البحث عن مخاض ثوري جديد ليكون بديلاً عن الثورة اليمنية (سبتمبر واكتوبر) هو حالة من حالات العبث بالثوابت الوطنية التي يحلو للبعض ممارستها وعلى أكثر من صعيد بهدف سلخ المجتمع عن ثورته المتجددة ومثلها وقيمها وأهدافها..

السطور التالية المعبرة عن عظمة الابتهاج بالمناسبة تمثل في طياتها وعي شباب متقد يولي الثورة السبتمبرية ولاءً بلا حدود يؤكد أن سلوكه مازال ثورياً..

في البداية تحدث الأخ عبدالحكيم الريامي -الأمين العام المساعد لشباب أمانة العاصمة- قائلاً: إن احتفالنا اليوم بأعياد الثورة اليمنية سبتمبر واكتوبر يكتسب دلالات ومعاني عميقة كونه يأتي في إطار جملة من التحديات الكبرى التي تواجه الشعب اليمني وثورته.. تحديات نرى أنها تعبر عن فظاعة المخطط التآمري على الشعب اليمني ومحاولة افراغه من كل ثوابته في الثورة والجمهورية والديمقراطية والوحدة..

وأضاف: إن التحديات قد فرضتها على شعبنا جملة من الممارسات غير المسؤولة التي يحاول اصحابها جاهدين سلخ الشباب عن أهداف وقيم ومثل الثورة، وايهامهم أن هناك ثورة أخرى لكن هذه الممارسات سرعان ماتلاشت في ظل صحوة الشباب المدرك أن الثورة اليمنية الأم (سبتمبر وأكتوبر) هي المحطة التاريخية المهمة التي يستحيل تجاوزها ذلك أنها تمثل ضمير شعبنا الذي يستحيل عليه التفاعل بدون زخمها مع كل التحديات والتفاعلات من حوله..

وواصل الريامي حديثه قائلاً: إنها مناسبة أن ادعو الشباب المغرر به إلى المزيد من التوحد والاصطفاف حول ثورتهم اليمنية الأم وأن يكون سلوكهم دائماً ثورياً سبتمبرياً وأكتوبرياً وان نواجه جميعاً كل المخططات التي تحاول استهداف كياننا وحاضرنا ومستقبلنا كشعب قدم التضحيات الكبرى من أجل ثورته التي عمت خيراتها كل ربوع الوطن اليمني..

تمرد عن الثورة

الشاب وليد محمد الاباري- أمانة العاصمة- قال: إن ما نراه اليوم من ممارسات وأعمال تخريبية وفوضوية لا تعبر إلاّ عن حالة تمرد عن مسار الثورة اليمنية بل ونكران وجحود لانجازاتها..

وتابع: لقد قرأت عن الثورة اليمنية واستمعت من آبائنا الكثير من القصص والحكايات التي تدلل على عظمة تضحيات اليمنيين في سبيل انتصار الثورة السبتمبرية العظيمة..

كما احطنا بعظمة ما حققته الثورة من انجازات كبيرة تجعل من عملية مقارنة الحياة اليمنية ما قبلها بما بعدها حالة مستحيلة بل عملية ظالمة للثورة، فالثورة اصبحت انجازاتها تعبر عنها كل مظاهر الحياة اليمنية.

وقال: خيرٌ لي اليوم كشاب أن أكون دوماً متسلحاً بأهداف الثورة اليمنية ومدافعاً عنها وحريصاً على بلورتها فذلك هو الطريق الأمثل والوحيد الذي من خلاله يمكن لشعبنا السير باتجاه المستقبل المشرق الذي ننشده.

وقال: إن خير انجاز للثورة اليمنية قد تمثل في إعادة تحقيق الوحدة اليمنية وهو الانجاز الخالد الذي سيظل يدلل دوماً على عظمة الثورة ما نحتاجه دائماً من تضحيات حتى تظل المنارة التي تهدي شعبنا إلى طريق الرقي والتقدم..

محاولات عبثية

الشاب نجيب الغميري من جانبه قال ساخراً: ما نسمعه اليوم من حديث عن ثورة جديدة ومن محاولات لاطفاء جذور الثورة واضعاف قوتها وديمومتها لايمثل بالنسبة لي سوى عودة صريحة لعهود ما قبل الثورة اليمنية وهي عهود اتسمت بالتخلف والصراع والتطاحن وعدم الاستقرار.

ويواصل: نحن شباب اليوم مطالبون أكثر من أي وقت مضى بالحفاظ على الثورة وأهدافها وان نضحي من أجل ذلك كما ضحى آباؤنا وأجدادنا الذين قدموا كل غالٍ ونفيس حتى ا نتصرت الثورة وبلغ شعبنا خيراتها التي مازالتْ تتواصل بالرغم من المؤامرات التي تواجهها..ودعا كل الشباب إلى التحلي بالوعي الوطني ومواجهة المؤامرات باعتبار ذلك يمثل سنة الحياة خاصة أن الثورة فعل مستمر وهي دائماً بحاجة إلى جيل جديد يزيد من عنفوان قوتها..

الطلقة الأولى

الشاب علي حسين الأسود- محافظة صنعاء- قال: نرفض أي تشويه أو تقليل من شأن الثورة السبتمبرية فهي التي مثلت الطلقة الأولى لتحرر شعبنا من كل موروثات التخلف الإمامي والاستعماري، كما مثلت الخطوة الأولى نحو بناء اليمن الجديد الذي ينعم اليوم بالجمهورية والثورة والوحدة والنهضة التي شملت مختلف مناحي الحياة.. ويرى أن أي تراجع عن الثورة هو عودة للخلف..

وقال: إنها مناسبة لأن اطالب الإعلام والثقافة إلى بذل المزيد من الجهود لغرس مثل وقيم الثورة اليمنية.. واشعر أنا كشاب بأنني مازلت بحاجة إلى المزيد من المعرفة عن الثورة الأم وعن ارهاصاتها ومحطاتها باعتبار ذلك يمثل السلاح الفاعل لمواجهة كل ردة عن الثورة وقطع الطريق أمام محاولات المشوهين لأهدافها..

أمنية عظيمة

وأخيراً تقول الشابة لطيفة محمد الرازحي: شيء جميل أن نحتفل بعيد الثورة كل عام لنؤكد وفاءنا وانتماءنا لها ووفاءنا لتضحيات أبناء اليمن الأبطال.. إلاّ أن لطيفة تشاطر الشاب علي حسين فيما ذهب إليه من تعبير عن وجود حاجة ماسة للمزيد من التعرف عن كل ما يتعلق بالثورة..

وقالت: اتمنى للثورة اليمنية المزيد من النجاح وادعو كل الشباب إلى السير باتجاه تحقيق الأهداف الستة التي مازلنا نعمل على بلورتها للواقع.